AFKĀR *Journal of Islamic & Religious Studies*
Volume 4, Issue 2, December 2020, PP: 01-16
E-ISSN 2616-8588; P-ISSN 2616-9223
www.afkar.com.pk; hjrs.hec.gov.pk

Scan for download

نماذج من القيم الإنساني في التصور الإسلامي

The Concept of Essential Human Values in Islam Discourse

Badshah Rehman

Assistant Professor, Department of Islamic Studies & Religious Affairs,
University of Malakand, Chakdara Dir (L) KP, Pakistan

ARTICLE INFO

Article History:

Received 26 July 2020

Revised 25 Aug. 2020

Accepted 31Oct 2020

Online 30 Dec 2020

DOI:

Keywords:

Human Values,

Vicegerent,

Islam,

Duties,

Responsibilities.

ABSTRACT

Allah, the Almighty has declared man to be His vicegerent on earth and has subdued the entire universe to him. Therefore, the primary theme of the Qur'ān is the human, his existence, his birth, his life, his death, and life after death, in short, every aspect of human life and all that makes his life livable on this earth. The article is based on the viewpoint that Allah has not only subdued the earth and all that is in it to man, but also, entrusted to him the responsibility of the safety and sustenance of the earth and the atmosphere. Alongside, He has enjoined upon man to supplicate and carry out His worship with humbleness. The research also presents conceptions of philosophers, intellectuals and scholars about the supremacy of man in the universe. The article brings into account multiple definitions and explanations of man given by scholars from various disciplines. A few essential values which are incorporated in the Qur'ān are discussed in this article such as man being a vicegerent of Allah on this earth and a creature worthy of high respect, his duties and responsibilities, the rights of man and the sources of his happiness and celebrations in the world and likewise.

* Corresponding author's email: badshahrehman@uom.edu.pk

CC BY

التمهيد

الإنسان هو الموضوع الذى نتحدث عنه فى هذا البحث،فكل شئ في هذا الوجود مسخر له، والإنسان نفسه محور الوجود كله والديانات كلها ما جاءت إلا لأجله. والقرآن الكريم كله يدور حوله.فكل ما ورد في القرآن الكريم موضوعه الإنسان أو مركزه الإنسان ،او عن شئ يتعلق به بأى صورة من صوره. فلذلك تتضمن الصفحات التالية من "النماذج من القيم الإنساني في التصور الإسلامي" وقد ذكرت بعض من هذه القيم في طبيعة الإنسان و صلاته بالله وسائر الكائنات في إطار القيم الدينية والأخلاقية التي ترتبط إرتباطا وثيقا بفطرته الإنسانية. وقد إعتمدت في كتابة البحث على ما ذكر فى كتاب الله و سنن النبى عليه الصلاة والسلام متفقا تماما مع التصور الإسلامي بعيدا أن يكون مجرد عرض لوجهات نظر خاصة أو عامة. الأمر الذي يدفعه إلى المزيد من التأمل والمزيد من الإطلاع حول قضية تخصه بالدرجة الأولى بوصفه إنسانا أراد الله أن يكون خليفة في الأرض يتحمل مسؤلية عمارتها وصنع الحضارة فيها، و أن يجعل منها واحة أمن و سلام و عدل و محبة من أجل خير الإنسان في كل زمان و مكان.

منهج البحث

إستخدمت خلال كتابة هذا البحث المنهج الوصفى التحليلى.

دراسات السابقة

كما نعرف أن القرآن ماجاء إلا لهداية الإنسان في كل جوانب حياته، فنظرا لغاية أهمية هذا البحث إستفدت من بعض الكتب والمصادر الدراسة فيما تتعلق بهذا الموضوع منها: القرآن الكريم،بعض من الكتب السنن، الكتاب: الإنسان والقيم في التصور الإسلامى لدكتور محمود حمدى زقزوق، والكتاب ،إحياء علوم الدين لإمام الغزالى وغيرها من الكتب.

الهدف من الدراسة البحث

هذا البحث من أهم المباحث من حيث يتركز على القيم العليا الإنسانية في التصور الإسلامى، فمن أهم أهداف هذا البحث هى: البيان والتبين بعض القيم العليا المذكورة في القرآن والسنة،لأن الإحتوى على جميع القيم المذكورة في التصور الإسلامى أمر صعب و يطول الكلام لذلك إكتفيت منها بعض القيم. بيان أهمية و قيمة هذا الإنسان (ألأشرف من المخلوقات) الذى أختاره الله سبحانه و تعالى أن يجعله موضوعا لكتابه عزوجل.

سوال أوالأطروحة البحث

من هو محور الوجود فى هذا الكون؟

الوحى الإلهى يتجه إلى من؟

ما هو موضوع لقرآن الكريم؟

بيان لبعض القيم الإنسانية فى التصور الإسلامى

يعبر القرآن عن ذلك بقول الله تعالى:

إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً[1]

إقتضت المشيئة الإلهية أن تجعل من الإنسان وكيلا عن الله في الأرض ليحقق فيها إرادة الله بإعمارها بالخير المادى والمعنوى من أجل خير البشرية جمعاء. و هذا يعني أنه ينبغي على الوكيل أن يلتزم بأوامر موكله و إجتناب نواهيه، وأنه لايجوزله بأى حال من الأحوال ان يستبد بالأمر بعيدا عن تعليمات موكله. ومن جانب آخر فإن على الوكيل أن يتخلق

بأخلاق موكله في كل تعاملاته و إلا لم يكن أهلا لهذه الخلافة. ومن هنا يقول الحديث الشريف:

تخلقوا بأخلاق الله[٢]

فإذا كان الله قد أمر بالعدل و كتب على نفسه الرحمة، فإن على الوكيل أن يتخلق بخلق الرحمة، و أن يقيم العدل بين الناس، حتى ولو على نفسه أو على الأقربين. و هكذا الشأن في بقية الصفات الإلهية التي ينبغى على الإنسان أن يتمثلها. ويسير على هداها، و يتأسى بكل ما تحمله من معانى الخير والجمال.وحتى يصل الإنسان إلى هذه المرتبة فإن عليه أن يعمل على إستقامة صلاته بنفسه و بالله و بالناس وبالعالم الذى يعيش فيه، الأمر الذى يؤدى إلى أن يصبح بحق جديرا بأن يكون وكيلا عن الله في الأرض يقيم فيها موازين العدل، و يزرع الخير الذى تعود ثمرته على الآخرين. و هذا ما ينبغى على هذا الوكيل أن يفعله إلى آحر نفس في حياته و إلى يوم القيامة، كما ورد في الحديث:

إن قامت الساعة و في يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل[٣]

ولقد كرمنا بني آدم

إن الله تعالى قد كرم أولاد آدم عليه السلام الذي يمثل النوع الإنساني الذى نفخ فيه روحه وأسجد له الملائكته ومن أجل ذلك فضل الله الإنسان على كثير من مخلوقاته كما جاء في الآية الكريمة:

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً[٤]

والكرامة المقصودة هنا عامة لكل البشر سواء رجالا و نساء بصرف النظر عن أجناسهم و ألوانهم و معتقداتهم. وهذا الإنسان الكريم لا يجوز له أن يفرط فيها بأي شكل من الأشكال. ومن جانب آخر لا يجوز لأحد أن يتعرض بالإهانة لإنسان آخر الذي كرمه الله، لأن ذلك يعد عدوانا في حق الله من ناحية، وفي حق الشخص الذى وقعت عليه الإهانة من ناحية أخرى. فهذه الكرامة حماية إلهية للإنسان تنطوى على إحترام عقله و حريته و إرادته، وتنطوى أيضا على حقه في الأمن على نفسه و ماله و ذريته. ومن أجل ضمان الحماية الإلهية للإنسان حددت الشريعة الإسلامية لنفسها مقاصد خمسة لتأكيد هذه الحماية و هي حفظ النفس، حفظ الدين، المال، العقل، و حفظ النسل[٥].فهذه المقاصد الخمسة تهدف كلها إلى حماية الإنسان الذى كرمه الله سبحانه و تعالى، و تمثل القواعد الأساسية لحقوق الإنسان. فالنفس الإنسانية لا يجوز الإعتداء عليها بأى حال من الأحوال. وقد أثبت ديننا الحنيف الإعتداء على شخص واحد كإعتداء على سائر البشر ،و في المقابل جعل تقديم الخير لفرد واحد من أفراد البشرية كلها.و يعبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله:

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ[٦]

ومن ذلك يتضح لنا أن التكريم الذى خصص به الله عزوجل الإنسان لم يكرم أو يختص به أى خلق آخر في هذا الوجود، لأن الإنسان هو الكائن الوحيد الذى جعله الله سبحانه و تعالى خليفة في الأرض. ومن أجل ذلك فإن على الإنسان أن يدرك أبعاد هذا التكريم جيدا و أن يحافظ عليه و يتمسك به، و يحميه من العدوان عليه بأى صورة من الصور.[٧]

علم الإنسان ما لم يعلم

حينما خلق الله سيدنا آدم عليه السلام و كرمه بأن نفخ فيه من روحه و أسجد له الملائكة و زوده بعلم "الأسماء كلها" بمعنى أن الله قد سلحه بالعلم الضرورى الذى هو في حاجة ماسة إليه للقيام بالمهمة التي ادخرها الله له عندما يتقرر

هبوطه إلى الأرض لإعمارها. و يختلف هذا الغلم تماما عن العلم الذى علمه الله للملائكة نظرا لإختلاف المهمة المكلف بها كل من الفريقين ولذلك عندما عرض هذ العلم على الملائكة كما جاء في الآية الكريمة:

وَعلَّم آدَمَ الاسماءَ كلَّها ثُم عَرضَهُم علَيالملائكة فَقَالَ اَنبئونى باسمَاء هُؤلاءِ ان كُنتُم صٰدقين[٨]

كان رد الملائكة على ذلك:

قَالُواسبحَانَك لاعلمَ لَنا الاّ ماعلّمتَنا اِنك انتَ العَلِيمُ الحَكيمُ[٩]

وهذا العلم الذى سلح الله به الإنسان هو العلم الذى يتناسب مع قدرات الإنسان و ملكاته، و هو العلم الذى يفيد في إعمار الأرض و صنع الحضارة فيها، و هذا العلم لا حاجة للملائكة إليه. ومن هنا أعلنت الملائكة عدم معرفتها به. فكل ميسر ما خلق له. و عندما نزل الوحى القرآنى على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام جاءت الآيات الخمس الأولى مشتملة على الأمر بالقراءة مرتين، و على الإرشاد بالعلم، و بالقلم الذى هو وسيلة لتدوين العلم، و ذلك في قوله تعالى:

اقْرَأْ بِاسْمِ رِبّك الَّذى خَلَقَo خَلَقَ الاِنسَانَ مِن علقٍo اِقراوربُّك الاكرَمo الَّذى علّم بالقلمo[١٠]

والقراءة هنا بمعنى قراءة القرآن الكريم الذي يحمل المنهج الإلهى للإنسان، وتعنى أيضا قراءة الكتاب المفتوح و هو الكون الكبير، كما جاء في قوله تعالى:

قُلِ انظُرُوا ماذَا فى السَّمٰوات والارضِ ومَاتُغنى الاٰيت والنُّذُر عَن قومٍ لّايؤمنون[١١]

و هكذا الأمر بالنظر يعنى دراسة ما يشمل عليه هذا الكون من آيات إلهية، و اكتشاف القوانين التى تحكم مسيرته، والبحث عن أفضل السبل التي تضمن حسن إستغلاله من أجل خير البشرية جمعاء.إن الدين قد جاء لمصلحة الإنسان ومن أجل خيره و سعادته في دنياه و أخراه، و بين التعليم الأول لآدم والوحى الأخير لمحمد سارت البشرية خطوات كبيرة في سلم الإعمار وصنع الحضارة ولكن ذلك لم يكن نهاية الطريق ولن يكون. فالطريق أمام البشرية لايزال طويلا،والكشف عن آيات الله في الكون و في الإنسان سوف يستمر قيام الساعة. و من الواضح أن هذا الربط الوثيق بين هذين التعليمين يبين للإنسان مدى الأهمية الكبيرة للعلم الإنسانى في مسيرة البشرية. ومن هنا وجدنا القرآن الكريم يوصي محمد ﷺ بان يدعوا ربه الإستزادة من العلم:

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا[١٢]

و تأكيدا من الإسلام على فضل العلم و أهميته جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة، و هى فريضة لاتقل في أهميتها عن فريضة الصلاة والصوم والحج. فالعلم بالإضافة إلى ما يكشفه للإنسان من وسائل لتطوير الحياة على هذا الكوكب الأرضى فإن من شأنه أن يعمق الإيمان و يرسخه فى النفوس- كما يقول القرآن الكريم:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ[١٣]

الإنسان والمسئولية

المسئولية من الصفات المميزة للإنسان. وليس من جنس الإنس إلا لابد و يحس نفسه المسؤل بشكل أوأشكال مختلفة. وكل إنسان الذى يكون سليم الفطرة، زاد إليه تلك المسئولية. ولكن هذا لا يمنع من أن تكون حيوية هذا الشعور مختلفة من فرد إلى آخر. و هناك إرتباط تام بين المسئولية والضمير. والضمير بمعنى ذلك الشعور الكامن في أعماقنا والذى له تأثيره الكبير في توجيه سلوكنا الوجهة الصحيحة. ومن هنا كان التوجيه النبوى: "إستفت قلبك."[١٤].

وتتاسس المسئولية على قاعدة من الحرية الواعية، وهذا يعنى أن كل فعل يصدر من المرء دون حرية واعية لا تترتب عليه أى مسئولية خلقية أو دينية. والمسئولية تلازم صاحبها قبل صدور الفعل و اثناءه و بعده، و تعنى أن صاحبها له

شخصية المستقلة في الفعل أو الترك، وله مقدرة على نفاذ ما وقرت فى إرادته. وبهذا المعنى تعد المسئولية خاصية مشرفة للإنسان لأنها مرادفة لمعانى الحرية والإستقلال والكرامة. والمسئولية في التصور الإسلامى فردية، فلا يتحمل أحد وزر آخر:

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ[١٥]

وهناك دوائر مختلفة للمسئولية وردت فى الحديث الشريف القائل:

كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع و مسئول عن رعيته، والرجل فى أهله راع و مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية و مسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده و مسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته.[١٦]

وكل ذوى العقل يشعر بأنه لولم يبالى مسئوليته تجاه الآخرين فإنه لا يناسب له أن يتمنى من دون الناس المسئولية بنسبة له. فلو لم اعدل في حق آخرين فإنه لا يجوز لى أن أنتظر منهم أن يعدلوا فى حقى. فالمسئولية قائمة. وما كتبه الله على الإنسان في الأزل ماهو إلا تسجيل لما سيصدر عن كل فرد منا بإرادته الحرة، و بإختياره الذى لا إكراه فيه. ومن هنا يتحمل الإنسان المسئولية كاملة عن كل فعل يصدر منه صغير هذا الفعل ام كبير. قال الله تعالى:

فَمَن يَّعمل مِثقَال ذرَّةٍ خيرًا يرهo وَمَن يَّعمل مِثقال ذرَّةٍ شرًّا يره[١٧]

الإنسان والدين

يعد الدين أحد المكونات الرئيسية لكل الحضارات التى صنعها الإنسان على مدى تاريخ البشرية، والإيمان يعد فطرة أصلية في أعماق الإنسان، وهذا يعنى أن الإنسان متدين بطبعه: قال الله تعالى:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ.[١٨]

إن هناك –إذن- جوانب أساسية في طبيعة الإنسان لا يجوز إهمالها أو تجاهلها.ومن هذه الجوانب الجانب الروحى فى مقابل الجانب المادى. ويشمل الجانب الروحى كل القوى المعنوية فى الانسان من عقل وروح وقلب. ويعبرحجة الاسلام ابوحامد الغزالى عن الجانب الروحى بقوله:إنه "الحس السادس الذى يعبر عنه بالعقل أو بالنور أو بالقلب او ماشئت من العبارات[١٩]ويمكن تقسيم هذا الجانب الروحى إلى قسمين: أحدهما يتصل بالعقل ومجاله، وثانيهما يتصل بعالم الروح والوجدان. وإذا أردنا أن نفهم الإنسان فهما سليما فإنه لا يجوز إغفال أى جانب في طبيعة الإنسان سواء كان ماديا أو روحيا، لأن هذا الفهم المتكامل له آثار البعيدة في تربية الإنسان و تقويمه و جعله صاحب شخصية سوية متوازنة. وهذا التوازن من شأنه أن يؤدى إلى إقامة مصالح الدين والدنيا معا. فعالم الماديات رغم أهميته ليس هو كل شئ. فهناك فوق ذلك عالم الروح المتصل بالله الذى نفخ في الإنسان روحه. والعقل في تاملاته و علومه و فنونه وسائر أعماله مدفوع بفطرته إلى التطلع ما فوق عالم المادة. ومن هنا فإن الوقوف بالإنسان عند عالم المادة يعد قصورا في فهم طبيعة الإنسان و تكوينه. وهذا الفهم القاصر قد يؤدى بالإنسان إلى إنكار عالم الروح كلية، أو على الأقل يؤدى إلى إهماله وعدم الإكتراث به. وهنا يظهر الإلحاد فى شتى صوره و أشكاله. "أن ألنظرة الروحية لا تولد فى النفس إلا حينما يتسع أفقها. فتجاوز الكون بظاهره و باطنه إلى ماوراء، فهى أوسع النظرات مجالا وأبعدها مطلبا[٢٠]".ولكن هذه النظرة الروحية او الدينية المشار إليها تنبنى على ماهو مركوز بالفعل فى فطرة الإنسان من نزعة دينية أصيلة، وقد عبر القرآن الكريم عن هذه النزعة الأصيلة في آية الميثاق بقوله:

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن

تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ [٢١]

وقد سئل أعرابي كيف عرفت الله؟ فقال:" البعرة تدل على البعير وأثر السير يدل على المسير وهذه سماء ذات أبراج و أرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج. أفلا تدل على اللطيف الخبير؟[٢٢]"

ومن الواضح أن هذا الأعرابى قد اعتمد على قانون السببية، وهو من القوانين البديهية الفطرية التى يستطيع كل منا أن يدركها فى حياته اليومية دون مشقة او عناء. إن كل شئ فى هذا الوجود يشير إلى خالق الوجود. والمتأمل فى آيات الله في الكون و في الإنسان سيتبين له يقينا أن الله تعالى هوالحق. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ[٢٣]

و إذا كان الإيمان يعد أمرا فطريا و نزعة أصيلة فى نفس الإنسان، فإنه من ناحية أخرى يعد ضرورة حياتية لا تستقيم حياة الإنسان بدونها.ومن هنا نرى في عالمنا المعاصر مقدار ما يعانيه الإنسان في العصر الحديث من تمزق نفس بسبب الفراغ الروحى، الأمر الذى يجعله كالمعلق بين السماء والأرض، ليس لديه أساس راسخ يركن إليه، ولا إيمان يملأ جوانب نفسه بالسكينة والطمانينة. وهذا يؤكد لنا ارتباط الإيمان بالأمل ارتباطا وثيقا لا ينفصم. فالمؤمن لا يمكن أن ييأس أو يتسرب القلق إلى نفسه أو الشك إلى قلبه. ويعبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى:

وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ[٢٤]

النساء شقائق الرجال

عندما جاءت الإسلام كانت الأوضاع التى تعيش المراة فيها أوضاعا سيئة. فلم يكن لها حقوق تحترم أو رأى يسمع، فانتشلها الإسلام من هذه الأوضاع السيئة، و أعلى مكانتها، ورفع عنها الكثير من الظلم الذى كانت تتعرض له، وجعلها تشعر بكيانها كأنسان مثل الرجال سواء بسواء، وضمن لها حقوقها المشروعة. وقرر الإسلام أن الناس جميعا رجال و نساء قد خلقوا من نفس واحدة:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا[٢٥]

فالذكر والأنثى متساويان تماما في الإعتبار الإنسانى وليس لأى منهما ميزة على الآخر فى هذا الصدد. والكرامة التى منحها الله للإنسان فى قوله:

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا[٢٦]"

هى كرامة للرجل والمرأة على سواء. وقد وصف النبى ﷺ العلاقة بين الرجل والمرأة بقوله:

النساء شقائق الرجال لهن مثل الذى عليهن بالمعروف[٢٧]

والوصف بكلمة شقائق يوضح لنا المساواة والندية، والرجال والنساء أمام الله سواء لا فرق إلا فى العمل الصالح الذى يقدمه كل منهماكما يشير إلى ذلك القرآن الكريم:

مَن عمِل صَالحًا مّن ذكرٍ اواُنثى وهُومؤمن فَلَنُحيينَّه حيٰوة طيّبة وَلَنجزيَنهماجرَهُم باحسن ماكانُوايعملون[٢٨]

والله يستجيب لدعاء المرأة كما يستجيب لدعاء الرجل، ولا يضيع العمل الصالح لأى منهما كما يقول القرآن الكريم:

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ[٢٩]

والتعبير القرآنى بقوله "بعضكم من بعض" يدل على أن كلا منهما مكمل للآخر و أن الحياة لا يمكن أن تستمر فى الإتجاه الصحيح دون مشاركتهما معا. والمرأة شريكة الرجل فى الأسرة و فى تربية الأولاد.ولا يفكر أن تضبط حياة الأسرة دون مشاركة الإيجابية من الجانبين، وإلا خربت موازين الأسرة وانعكس أثر ذلك سلبيا على الأطفال. وقد حمل النبى ﷺ على كلا الذكر والأنثى من بنى البشر هذه المسئولية المشتركة عندما قال:

"عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع سيدنا النبى عليه الصلاة والسلام" كلكم راع ومسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته قال فسمعت هؤلاء من رسول الله ﷺ وأحسب النبي ﷺ قال والرجل في مال أبيه راع وهو مسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته[٣٠]

و إذا كان بعض المسلمين استنادا إلى تقاليد و أعراف باطلة لا يلتزم بهذه المواقف الإسلامية نحو المرأة فإن ذلك يعد جهلا بالإسلام و أحكامه أو سوء فهم لتعاليمه الواضحة.

حقوق الإنسان

إذا نظرنا بصفة عامة إلى قضية حقوق الانسانفي التاريخ الانساني والساس الذى ترتكز عليه هذه الحقوق فى التصورات العامة تجد انها تدور بين ان تكون مبينة على أساس الحق الطبيعى، او التعليم الدينية أو أخلاقية، اوعلى أساس وضعى. وقد تطور مفهوم حقوق الإنسان فى الفكر الانسانى علي مدي قرون عديدة من خلال صراع طويل داخل الجماعات الإنسانية، وانتهى الأمر إلى التصور الحديث لهذا المفهوم، والذى يرتكز بصفة خاصة على الأسس والمبادئ التى نادى بها التنوير الأوربى.

إن من المعروف لكل دارس للشريعة الإسلامية أن مقاصدها منذ كانت تتمثل في قيام مصالح الناس فى الدين والدنيا معا، وقد روعى فى كل حكم من أحكامها إما حفظ شئ من الضروريات الخمس وهى: (الدين، النفس، العقل، النسل، والمال) والتى تعد أسس العمران المرعية فى كل ملة، وإما حفظ شئ من التحسينات التى ترجع الي مكارم الاخلاق وإما تكميل نوع من هذه الأنواع بما يعين على تحققه.[٣١]

وحفظ هذه الأنواع المشار إليها يعنى حمايتها من أى إعتداء عليها. وهذه الحماية حق لكل فرد، فهى- إذن- تمثل حقوقا للإنسان بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى. وترجع حقوف الإنسان في الإسلام بصفة عامة إلى حقين أساسيين هما: حق الإنسان فى المساواة، وحقه الحرية. وكل حقوف الإنسان الخرى تنبثق من هذين الحقين. ويؤسس القرآن الكريم حق الإنسان فى المساواة على قاعدتين أساسيتين هما: وحدة الأصل البشرى، و شمول الكرامة الإنسانية لكل بنى آدم. أما وحدة الأصل البشرى فإن القرآن الكريم قد أكد عليها تأكيدا واضحا لا يقبل التأويل؛حين أشار إلى أن الناس جميعا قد خلقوا من نفس واحدة. فلا مجال فى الإسلام لإمتيازات طبيعية لفئات أو طبقات أو أجناس أو شعوب فى مقابل شعوب أخربز وقد أكدت السنة النبوية هذه الحقيقة كما جاء فى خطبة حجة الوداع المشهورة:

قال النبى –ﷺ- في بيانه الحكيم"يا أيها الناس: إن ربكم واحد، و إن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على الأسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"،ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فيبلغ الشاهد الغائب.[٣٢]

أما القاعدة الثانية للمساواة فهي شمول الكرامة الانسانية لكل اللبشر. وقد منح الله هذه الكرامة لكل الناس بلا إستثناء لتكون سياجا من الحصانة والحماية لكل فرد من أفراد الإنسان، لا فرق بين غنى و فقير، و حاكم و محكوم، فالجميع أمام الله و أمام القانون و فى الحقوق العامة سواء. و من المعلوم أن حق المساواة فى المجتمع الإسلامى مكفول للمسلمين و لغير المسلمين على السواء. وهنا تسرى القاعدة القانونية الإسلامية:

لهم ما لنا وعليهم ما علينا[٣٣]

وإذا كانت حقوق الإنسان لاتراعى بصورة كافية فى العديد من مناطق العالم الإسلامى، الأمر الذى يعطى لخصوم الإسلام الفرصة لاتهامه بخلوه من حقوق الإنسان، فإن الإسلام ليس مسؤلا عن الممارسات الخاطئة حتى و إن كانت ترتكب بإسمه. ومن يريد أن يتعرف على تعاليم الإسلام الحقيقية فليبحث عنها فى مصادره الأصلية و ليس فى سلوكيات الخاطئة أو تفسيرات باطلة يرفضها الإسلام رفضا تاما.

الإنسان واللغة

لقد أنعم الله على الإنسان بنعمة القدرة على الكلام. ولكل قوم لغة يتخاطبون بها، و يعبرون بها عن أغراضهم. واللغة بصفة عامة يمكن تعريفها بأنها" كل وسيلة لتبادل المشاعر والأفكار" و يشمل ذلك الإشارات والأصوات والألفاظ. ويشترك الإنسان مع الحيوان في الإشارات والأصوات التى تصدر بطريقة عفوية نتيجة انفعالات اللذة أو الألم. ولكن لغة الإنسان تنفرد بأنها تعبير مقصود بألفاظ و أصوات تواضع الناس عليها و تختلف باختلاف الشعوب والأزمان.

والقرآن الكريم يبين لنا أن هذا الإختلاف الواقع بين الشعوب فى لغاتهم يعد آية من آيات الله التى لا تقل أهميتها و دلالاتها عن غيرها من الآيات الكبرى فى هذا الوجود مثل خلق السموات والأرض و فى ذلك يقول القرآن الكريم:

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ[٣٤]

وتشمل هذه الآية الكريمة على آيات و دلائل عديدة و أخرى إنسانية، وكلاهما من الآيات البينات على قدرة الله سبحانه و تعالى على أنه هو الحق. وإذا كان الناس مختلفين فى لغاتهم فإن علىهم أن يجدوا وسيلة للتفاهم. وهذا لن يتم إلا بتعلم بعضهم لغة بعض حتى يتمكن أن يكون هناك تعارف و تواصل فكرى وما يترتب على ذلك من التآلف والتعاون فى جميع المجالات من أجل خير الإنسان فى كل زمان و مكان. و هذا يبين لنا قيمة اللغة وأهميتها فى حياة الأفراد والجماعات، وأنها من أجل النعم التى أنعم الله بها على الإنسان لتساعده فى القيام بمسؤلية عن هذا الكون الذي يعيش فيه.

والذين آمنوا أشد حبا لله

التكوين الإلهى للإنسان فيه الكثير من الآيات الباهرة التى جعلها الله من دلائل قدرته، والبحث فيها بإخلاص من شأنه أن يعين الإنسان على التوصل إلى أن الله تعالى هو الحق و هو رب العالمين. والإنسان فى تكوينه ليس جسما و عقلا فحسب، إنه بالإضافة إلى ذلك ينفعل و يشعر باللذة والألم، ولديه عواطف و انفعالات و أهواء تختلف عن عمليات التصور والتفكير التى هى من خصائص العقل. والعواطف تعد تجارب وجدانية. وقد إعتاد الناس أن يطلقوا وصف"عاطفى" على الإنسان الذى ينفعل بسرعة ولا يستطيع أن يسيطر على نفسه. وهذا المعنى السلبى لا يعبر تماما عن العاطفة فى صورتها الإيجابية والتى من شأنها أن تدفع الإنسان إلى سلوك معين إزاء إنسان أو حيوان أو مجموعة من الناس أو فكرة معينة، و ذلك مثل عاطفة الحب أو الكره. فالإنسان قد يتعاطف مع شخص آخر أو مع فكرة من الأفكار، وقد ينفر من هذا الشخص أو تلك الفكرة. و نود أن نقتصر حديثنا على عاطفة الحب التى ينظر إليها فى كثير

من الأحيان نظرة متدنية لا تتفق مع سموها. و يرى حجة الإسلام الغزالى أن المحبة لا تتصور إلا بعد معرفة و إدراك، إذ لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه، لأن الحب من خصائص الحى المدرك. و يعرف الحب بأنه عن ميلان الطبع إلى الشئ الملذ، فإن تأكد ذلك الميلان وقوى سمى بإسم آخر وهو العشق. والحب فى نظر الغزالى أنواع: فلكل حاسة من الحواس إدراك لبعض الموجودات، ولكل واحدة منها لذة فى بعض المدركات، ولهذا يميل الطبع إليها، وتعد من المحبوبات عند الطبع السليم. فلذة العين فى إدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة، ولذة الأذن فى النغمات الطيبة، ولذة الشم فى الروائح الطيبة وهكذا. ويورد الغزالى فى هذا الصدد قول الرسول صلى الله عليه و آله وسلم

حبب ألى من الدنيا النساء والطيب و جعلت قرة عينى فى الصلاة[٣٥]

ثم يبين الغزالى أن المحبة قد تتأكد بين شخصين، لا بسبب جمال ظاهر ولا بمجرد تناسب الأرواح كما ورد فى الحديث:

الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف[٣٦]

و باختصار فإن أسباب الحب فى نظر الغزالى ترجع إلى خمسة أسباب.

١. حب الإنسان وجود نفسه و كماله و بقائه.
٢. حب الإنسان لمن أحسن إليه.
٣. حب الإنسان لمن كان محسنا فى نفسه إلى الناس و إن لم يكن محسنا إليه.
٤. حبه لكل ما هو جميل فى ذاته.
٥. حبه لمن بينه و بينه مناسبة خفية فى الباطن.

هذه الصفات المذكورة إن كانت فى أقصى درجات الكمال كان الحب لا بد فى أعلى كمال الدرجات.

وهذا الحب لا يكون من جانب الإنسان لله فقط، بل من جانب الله للإنسان أيضا. و يشير حديث شريف آخر إلى

أن الله إذا أحب عبدا جعل أهل السماء يحبونه، وجعل له القبول فى الأرض[٣٧]

الإنسان والأعياد

حياة الإنسان تعد فى هذه الحياة الدنيا سلسلة متواصلة من الكفاح فى مواجهة الكثير من العقبات التى تقف فى سبيل تحقيق آمال و طموحات البشر. والإنسان بطبيعته إذا حقق إنجازا شعر بفرح غامر و سعادة باللغة. وحتى يستعد لتحقيق إنجاز جديد فهو فى حاجة إلى وقفة يلتقط فيها أنفاسه، ويستريح من عناء العمل و يرفه فيها عن نفسه، و يتزود بشحنة جديدة لإستئناف العمل من جديد. و هذه الوقفة تعد محطة يستريح فيها قليلا قبل أن يتابع سيرة فى طريق الحياة. ومثل هذه المحطات تمثل بالنسبة للشعوب أعيادا يحتفلون بها و يبتهجون، و يعبرون عن سعادتهم بما تحقق، و يأملون في تحقيق المزيد فى المستقبل. وقد ابتكر الناس الكثير من الأعياد تحت العديد من الأسماء، و فى العديد من المناسبات. وقد تكون هذه المناسبات دينية، أو وطنية، أو غير ذلك من مناسبات. فهناك مثلا فى العديد من الدول أعياد تحت مسميات شتى مثل عيد الربيع، عيد الشكر، أو عيد الحصاد، أو عيد الأم، وهناك- أيضا –أعياد قومية للتحرير أو الإستقلال و ذلك بالإضافة إلى أعياد الدينية كثيرة. ولا تخلوا أمة من الأمم من أعياد تحتفل بها و تعلن فيها عن فرحتها و إبتهاجها، وتحفزها إلى نشيط ذاكرتها و ترسيخ الثقة والإعتزاز بأمجادها و تقوية عزائمها على مواصلة السير نحو خير الأمة و تقدمها و ازدهارها. وهذه كلها أمور إيجابية تعبر عن حاجة الإنسان الفطرية إلى مثل هذه الأعياد لتكون عونا للإنسان على التزود بطاقة جديدة لإستئناف السير و مواصلة الكفاح. ونظرا لأن الأديان قد جاءت لمصلحة الإنسان ومن أجل خيره و سعادته فإنها قد اشتملت على أعياد يحتفل بها أصحاب كل عقيدة تلبية

لهذه الحاجة الفطرية لدى الإنسان. وبعض هذه الأعياد حددته الأديان و بعضها الآخر حدده الناس و جعلوا منها أعيادا دينية. ولم يشذ دين من الأديان عن هذه القاعدة. ومن هنا وجدنا الإسلام يلبى هذه الرغبة و يتجاوب مع هذه الفطرة الإنسانية.ومن أجل ذلك وجدنا النبى صلى الله عليه و آله وسلم عندما قدم المدينة وجد لدى الأنصار يومين يلعبون فيهما فقال:

ما هذان اليومان؟ قالوا: يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية. فقال: إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر[٣٨]

ومن الطبيعى أن تحتفل كل أمة بأعيادها وتعلن عن ذلك بالزينات والألعاب، والألحان، والمرح، والتزاور بين الأقارب والأصدقاء. ويروى أن أبا بكر رضى الله عنهدخل على إبنته عائشة أم المؤمنين ﷺ وكان يوم عيد، وعندما جاريتان تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث.فقال:

أمزامير الشيطان في بيت رسول الله؟ فقال النبى ﷺ: يا أبا بكر إن لكل قوم عيد،وهذا عيدنا[٣٩]

وقوله ﷺ:لتعلم اليهود أن فى ديننا فسحة وأنى بعثت بحنيفية سمحة[٤٠]

ومن المرويات أيضا أن النبى ﷺ قد سمح للسيدة عائشة أن تشاهد الأحباش وهم يلعبون بحرابهم فى يوم عيد. ومن ذلك يتضح أن الإسلام دين يتجاوب مع فطرة الإنسان،ولا يرفض شيئا يجلب للإنسان السعادة في حياته. ومن هنا كان هذان العيدان اللذان منحهما الله للمسلمين وهما عيدالفطر وعيدالأضحى بمثابة مكافأة لهم على ما قاموا به من أداء ماعليهم من فرائض الدينية. فعيد الفطر يأتى بعد أداء فريضة الصوم. ومن حق المسلم أن يفرح بأدائه لواجبه وانتصاره فى هذا الشهر على شهواته و أهوائه. ولذلك يقول النبى ﷺ:

للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه[٤١]

أما العيد الثانى منحه الإسلام للمسلمين فهو عيد الأضحى الذى يأتى أيضا بعد الفراغ من رحلة أخرى روحية وبدنية معا وهى رحلة الحج إلى بيت الله الحرام. وهنا- أيضا- من حق المسلم أن يحتفل بأداء هذا الواجب و يفرح باكتماله، ويشاركه روحيا فى هذه الرحلة كل المسلمين فى جميع البقاع الذين تهفوا قلوبهم و تتق أرواحهم إلى القيام بهذه الرحلة المباركة. ومن الأمور المهمة التى لا ينبغى أن تغيب عن الأذهان أن الإسلام يبدأ الإحتفالات بهذين العيدين بتجمعات روحية فى صلاة العيد. و بذلك يكون الترابط الأخوى بين الناس يتبادلون التهانى،و يشاركون غيرهم من الفقراء والمحتاجين في السعادة ببهجة العيد بما يمنحونه لهم عن طيب خاطرمن زكاة للفطر ومن صدقات تطوعية تقربا إلى الله، ومن ناحية أخرى يوثق المسلمون صلتهم الروحية بالله سبحانه وتعالى فى مفتتح الإحتفالات بصلاة العيد.

و إذا كان الإسلام قد أباح للمسلمين أن يفرحوا و يبتهجوا بالعيد، ويعبروا عن ذلك بالزينة والمرح والترفية عن النفس في الحدود المقبولة، فإنه لا يجوز الإنحراف بهذه البهجة إلى أمور سلبية تفسدها سواء كان ذلك بالإسراف فى تناول الإطعمة بطريقة تصيب الإنسان بالتخمة وتضر بصحته أو بعادات و تقاليد تثير الأحزان والهموم أو بأفعال تتنافى مع تعاليم الإسلام السمحة و قيمه النبيلة التى تهدف كلها إلى خير الإنسان و سعادته فى دنياه و أخراه.

قيمة الأمن

من أعظم النعم التى انعم الله بها على الإنسان فى هذه الحياة الدنيا هى نعمة الأمن التى بدونها لا يمكن أن يهدأ للإنسان بال أو يشعر بالإطمئنان أو ينعم بالإستقرار. ولن تتحقق هذه القيمة الجليلة إلا إذا توفرت إلى ذلك الإنسان حقوقه – الإنسانية- الأساسية. ومن أجل ذلك قررت الشريعة القوانين التى تحمى تلك الحقوق و تضمن تحققها للفرد والمجتمع.

ونظرا لأهمية البالغة، أطلقت عليها الشريع الإسلامي كلمة "الضروريات"،وجعلتها الشريعة من المقاصد الأساسية فى الإسلام. وتشكل هذه الضروريات فى صورة حفظ العقل والدين والمال والنسل. وهذا يعنى أن الشروط الضرورية لتحقيق الأمن للفرد تتمثل فى أن يكون أمنا على حياته، وعلى عقيدته التى يدين بها، وعلى عقله الذى يفكر به، وعلى ممتلكاته الخاصة،وعلى أسرته. فالأمن على النفس يعنى عدم جواز الإعتداء عليها- بأى شكل من الأشكال- ما دام لم يرتكب الفرد جرما من الجرائم التى تستحق العقاب. و لم يحدد الإسلام إحترام إلى نفس الإنسانية فقط بل يتعداها إلى كل نفس إنسانية بصرف النظرعن الجنس أو اللون، أو المعتقد. ومن هنا جعل الإسلام الإعتداء على فرد واحد بغير حق بمثابة اعتداء على الإنسانية كلها كما يقرر القرآن الكريم ذلك فى صراحة ووضوح فى قوله تعالى:

مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا[٤٢]

وليست القضية تتعلق بالإعتداء التى تتمثل فى القتل فقط، بل يستوعب حتى على مجرد التخويف أو التهديد أو الترويع بأى شكل من الأشكال. ولا يقتصر احترام الإسلام للنفس البشرية فى حال حياتها فقط، بل يمتد إليها فى حال مماتها أيضا.

ومن المرويات عن النبى ﷺ فى هذا الصدد أنه كان جالسا ذات يوم مع صحابته فمرت أمامهم جنازة فقام واقفا احتراما للميت. فقال له بعض الصحابة إنها جنازة يهودى.فرد قائلا: أليست نفسا؟[٤٣]

أما الأمن على العقيدة فإنه يعنى عدم جواز إرغام أحد على الدخول فى دين من الأديان أو الخروج منه،لأن الإكراه على اعتناق دين من الأديان شأنه أن يولد منافقين لا مؤمنين, ومن هنا كان المبدأ القرآنى الواضح فى حرية العقيدة:

لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ[٤٤]

يعنى الأمن على العقل ضمان أدائه لوظيفته المتمثلة فى التفكير وما يرتبط به من عمليات عقلية. وهذا يعنى أنه لا يجوز إعاقته عن أداء هذه الوظيفة بأى صورة من الصور. ومن أجل ذلك يحمى الإسلام حرية الرأى والفكر ما دامت لا تضر بمصالح المجتمع ولا يالنظام العام للدولة، كما يرفض الإسلام التقليد الأعمى للآخرين فى كل ما يقولون أو يفعلون، لأن فى ذلك إلغاء للعقل الذى به تتحقق إنسانية الإنسان. ومن كل ذلك الذى ذكرناه يتضح لنا أنه إذا توافرت للفرد "الأمن" على هذه القواعد الضرورية الملحة، فإن ذلك من شأنه أن يوفر له الإطمئنان والإستقرار فى حياته، ويتاح له الفرص للشغل والمهن والإنتاج والإبداع فى الميدان الذى يتفق مع تخصصه و قدراته و مؤهلاته، و ينعكس ذلك بالتالى بشكل إيجابى على المجتمع بأسره.

قيمة الحرية

الحرية حق من حقوق الإنسان التى لاجدال فيها والتى لا يجوز المساس بها أو مصادرتها دون وجه حق. و نقيض الحريه هو العبودية. وليس من حق أحد أن يستعبد الناس ويسخرهم لأغراضه ويسلبهم حقهم المشروع فى الحرية و فى اختيار ما يريدون دون ضغط أو إكراه. ومن هنا كانت مقولة عمر بن الخطاب ﷺ:

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار[٤٥]

ولكن هذا الحق المشروع للإنسان ليس حقا مطلقا،ولا يمكن أن يكون حقا مطلقا.فالمرء لا يعيش وحده فى هذا العالم، بل يشاركه فيه غيره من الناس الذين لهم أيضا حقهم المشروع في الحرية مثله تماما. ومن هنا كان لابد من التوفيق بين هذه الحقوق، إذ لا يجوز أن يتمتع بهذا الحق فريق دون فريق، فكلهم فى ذلك سواء بصرف النظر عن أجناسهم و أعراقهم و معتقداتهم. فالإعتبار الإنسانى وحده هو إذا كان الأمر كذلك- وهو كذلك بكل المقاييس

الإنسانية والأخلاقية فإنه لا يجوز أن يعتدى أحد على حق إنسان آخر بحجة أنه حر و أن من حقه أن يفعل ما يشاء. صحيح أنه حر يفعل ما يشاء ولكن ألا يكون فى ذلك اعتداء على حرية الآخرين و حقوقهم. وهذا يعنى أنه لا توجد فى الوجود حرية مطلقة للإنسان و إنما حرية منظمة تنظمها القوانين والقيم الأخلاقيةوالدينية، و يقوم المجتمع والدولةعلى رعايتها و حراستها. وقد وضع الإسلام فى ذلك قاعدة عامة تحكم العلاقات بين الناس فى هذا الصدد تتمثل فى أنه:

لا ضرر ولا ضرار[٤٦]

فأى تصرف يصدر من الإنسان لابد أن يراعى فيه عدم الضرر بالآخرين، فإذا تسبب فى ضرر ما للآخرين بأى شكل من الأشكال فلابد من الوقوف فى وجهه ومنع حدوثه مراعاة لحقوق الآخرين. إننا فى أشد الحاجة إلى العودة إلى تقاليدنا العريقة، وقيمنا النبيلة و أخلاقنا التى بدونها لن نستطيع أن نحافظ على تماسك مجتمعنا و تعاون أفراده فيما بينهم من أجل خير بلادنا و تقدمها و ازدهارها.

قيمة الوقت

من بين القيم المنسية في حياتناعلى الرغم من أهميتها البالغةفى حياة المجتمع و رقيه و تقدمه قيمة الوقت، تلك القيمة التى نتعامل معهاللأسف الشديدبطريقة خاطئة. فنحن فى حياتنا اليومية نضيع الكثيرمن أوقاتنا، أو بمعنى أدق نقتلها و نبددها و نهدرها فيما لا يفيد، مع سبق الإصرار والترصد، كما لو أن أوقاتنا عدو لابد ان نقتله و نتخلص منه. ومن ناحية أخرى فإننا لا نفرق كثيرا بين أوقات الحد و أوقات اللهو، بل نخلط بينهما، الأمر الذى يجعل حياتنا تسير دون نظام يحكم سيرها و يضبط حركتها. ومن المناظر المألوفة أن يرى المرء الجموع الغفيرة من الناس القادرين على العمل تكتظ بهم المقاهى ليلا ونهارا و يضيعون اوقاتهم فيما لا طائل من ورائه. وقد عبر العالم الدمشقى المعروف"جمال الدين القاسمى" عن حسرته على أوقات الناس المهدرة دون وعى بقيمتها بقوله: كم أتمنى أن يكون الوقت مما يباع لأشترى من هؤلاء الناس أوقاتهم لأنفقها فيما يفيد. إن الوقت قيمة من القيم الحضارية الأساسية التى نبه إليها الدين و حض على الإلتزام بها و حسن التصرف فيها، وقد أقسم الله بالوقت العديد من آيات القرآن الكريم ليبين لنا مدى الأهمية البالغة لهذه القيمة فى حياة الإنسان. وقد جاء القسم فى هذه الآيات بالفجر وبالضحى و بالعصر و بالليل و بالنهار، وكلها تمثل أجزاء من الوقت.والله لا يقسم بشئ دون أن تكون هناك حكمة بالغة وراء ذلك يراد تعليمها للناس.وفى أمثالنا الشائعة التى ورثناها عن الأسلاف نقول: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك وكذلك الوقت من ذهب. وهذا يعنى ضرورة شغل أوقاتنا بالعمل المفيد المنتج، أو بالتعبير القرآنى بالعمل الصالح بمعناه الواسع الشامل الذى يشمل كل عمل يقوم به الإنسان فى هذه الحياة، دينيا كان هذا العمل أو دنيويا، طالما قصد به المرء وجه الله و نفع الناس و دفع الأذى عنهم. ونظرا إلى أن الوقت هو الوعاء الذى يمارس فيه الإنسان نشاطه فى الحياة فإن ذلك يعنى إرتباط قيمة الوقت بقيمة العمل. فالوقت بلا عمل فراغ، والعمل لا يمكن أن يتم إلا إذا كان هناك وقت لإنجازه. والفراغ فى حد ذاته يمكن أن يكون نعمة، كما يمكن أن يكون نقمة. ومن أجل ذلك يقول النبى عليه الصلاة والسلام: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ[٤٧]"

فالذى لا يستعملها فيما ينبغى و فيما خلقا من أجله فقد ظلم نفسه. وبذلك تنقلب النعمة إلى نقمة. والإنسان قد أعطاه الله العقل ليميز به الخير من الشر والنافع من الضار، وهذا يعنى أن عليه أن يتحمل مسئوليته الإنسانية، و أن يبذل أقصى الجهد لوضع كل شئ فى إطاره الصحيح، و ذلك بالإستغلال الأمثل لأوقاته حتى ينعم بحياته على النحو

الذى يليق بالإنسان.

نتائج البحث:

وبناء على ما سبق،نحن فى أمس الحاجة إلى غرس والقيم الإحترام والثقة بالنفس والإعتزاز بالكرامة الإنسانية فى الجيل الجديد. فقد خلق أبناءه لزمان غير زماننا،وهذا ما ينبغى أن ندركه جيدا و إلا أخطأنا الطريق فى تربية الجيل الجديد. و هذا خطأ إن وقع ستحمل الأجيال كله وزره. وسنكون نحن مسؤلين عن ذلك. ومن هنا فإن واجنبنا ان نرشدهم إلى الطريق والمنهج الصحيح ونبين لهم مخاطر الطريق، وعليهم أيضا أن يشقوا طريقهم بأنفسهم، وقد يتعثرون،ولكنهم حتما سينهضون مرة أخرى ليواصلوا السير على الدرب. وهكذا تتواصل الأجيال و تستمر الحياة إلى حيث أراداللّٰه. وفي ختام هذا البحث نحمد اللّٰه عزوجل و نصلى و نسلم على سيدنا رسول اللّٰه و على آله و صحبه أجمعين ، و بعد: كان الإنسان ولا يزال محور البحث والتفسير لدى الفلاسفة والمفكرين والعلماء فى مختلف التخصصات، و فى عصور من الزمان. وفي الختام أسأل اللّٰه تعالى أن يوفقنا في الدارين و أن ينفع بنا الإسلام و المسلمين.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 international license.

الحواشي والهوامش

[١] القرآن الكريم:٢/٣٠.

[٢] أبو نعيم أحمد بن عبد اللهالأصبهاني،**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٤، ج٩، ص٣٤٩

[٣] ابو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل،**المسند**، مؤسسة الرسالة، بيروت،٢٠٠١، ج٢٠، ص٢٩٦

[٤] القرآن الكريم:١٧/٧٠.

[٥] إبراهيم بن موسىشاطبي،**الموافقات**، دارابن عفان، بيروت،١٩٩٧، ج٢، ص ١٠

[٦] القرآن الكريم:٥/٣٢.

[٧] دكتور محمود حمدىزقزوق، **الإنسان والقيم في التصور الإسلامى**، مكتبة الأسرة، بيروت، ٢٠٠٤، ص٢٨

[٨] القرآن الكريم:٢/٣١.

[٩] القرآن الكريم ٢/٣٢.

[١٠] القرآن الكريم:٩٦/١ الي٥

[١١] القرآن الكريم:١٠/١٠١.

[١٢] القرآن الكريم:٢٠/١١٤.

[١٣] القرآن الكريم:٤١/٥٣.

[١٤] أبو بكر بن أبي شيبة، **المصنف**، دارالوطن، رياض، ١٩٩٧، ج٢، ص٢٥٩، الرقم٧٥٣ ودارمى، ابومحمد عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي **المسند**، دار المغني للنشر والتوزيع، سعودى عرب، ٢٠٠٠، ج٣، ص١٦٤٩، الرقم٢٥٧٥.

[١٥] القرآن الكريم:٧٤/٣٨.

[١٦] أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، **الجامع الصحيح**، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢٢هـ، ج٢، ص٥، الرقم٨٩٣.

[١٧] القرآن الكريم:٩٩/٧و ٨.

[١٨] القرآن الكريم:٣٠/٣٠.

[١٩] أبو حامد محمد بن محمدالطوسيالغزالى،**إحياء علوم الدين**، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، بيروت، ١٩٢٩، ج٤، ص٢٨٩.

[٢٠] دكتور محمد عبداللهدراز،**الدين**، دارالقلم بالكويت،١٩٨٠،ص ٨٦.

[٢١] القرآن الكريم:٠٧/١٧٢.

[٢٢] صالح بن فوزان، **شرح الأصول الثلاثة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٦، ص١٠٣

[٢٣] القرآن الكريم:٤١/٥٣.

[٢٤] القرآن الكريم:١٢/٨٧.

[٢٥] القرآن الكريم:٠٤/٠١..

[٢٦] القرآن الكريم:١٧/٧٠.

[٢٧] أبو عيسى، محمد بن عيسى الترمذي،السنن، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٨،ج١،ص١٨٩،الرقم١١٣

[٢٨] القرآن الكريم:١٦/٩٧.

[٢٩] القرآن الكريم:٠٣/١٩٥.

[٣٠] البخاري،**الجامع الصحيح**، ج٢، ص٥، الرقم٨٩٣. وأبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري، **صحيح مسلم**، داراحياء التراث، بيروت، ١٩٩٧، ج٣، ص١٤٥٩، الرقم ١٨٢٩

[٣١] الشاطبى، الموافقات،ج١، ص ٦٦

[٣٢] أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخراساني، **شعب الإيمان**، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، رياض، ٢٠٠٣، ج٧، ص١٣٢

[٣٣] عبد الرحمن بن محمدافندي، **مجمع الأنهرفي شرح ملتقى الأبحر**، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠١، ج١، ص٣٦٣

[٣٤] القرآن الكريم:٢٢/٣٠.

[٣٥] أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيبالنسائي الخراساني، **السنن الكبرى**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١، ج٨، ص١٤٩

[٣٦] البخارى، **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٣٣، الرقم ٣٣٣٦

[٣٧] البخاري،**الجامع الصحيح**، ج٩، ص١٤٢والنيسابوري،**صحيح مسلم**، ج٤، ص٢٠٣٠

[٣٨] أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، **السنن**، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠١، ج١، ص٢٩٥، الرقم١١٣٤

[٣٩] البخاري،**الجامع الصحيح**، ج٢، ص١٧، الرقم٩٥٢

[٤٠] ابن حنبل،**المسند**،ج٤١،ص٣٤٩،الرقم ٢٤٨٥٥

[٤١] البخاري،**الجامع الصحيح**، ج٩، ص١٤٣، الرقم٧٤٩٢

[٤٢] القرآن الكريم:٣٢/٠٥.

[٤٣] البخاري،**الجامع الصحيح**، ج٢، ص٨٥، الرقم١٣١٢

[٤٤] القرآن الكريم:١٥٦/٠٢.

[٤٥] على بن مصطفى الطنطاوى، **أخبارعمر**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٥٩، ص ١٨٢

[٤٦] ابوعبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سننابن ماجة**، دار احياء الكتب العربية، بيروت، ٢٠٠٣، ج٢، ص٧٨٤، الرقم٢٣٤١

[٤٧] البخاري،**الجامع الصحيح**، ج٨، ص٨٨، الرقم٦٤١٢